الكهنة

obeikan.com

obeikan.com

تضم قائمة الكبار في « العصابة الحاكمة عددا كبيرا ، من الشخصيات من أصحاب الجاه والنفوذ إلا أن اخطر ثلاثة في القائمة هم الدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان الرئيس والدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب والمهندس احمد عز أمين التنظيم في الحزب الوطني ولنبدأ بـ:

زكريا عزمي

عين الرئيس الذي مارس الفسادبيده وحاربه بلسانه

«الفساد في المحليات للركب » أشهر عبارة يحفظها الشارع المصري للدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية ،فبهذه العبارة قد يبدأ الصحفي تحقيقه عن قضية في المحليات أو قد يستخدمها نائب معارض في طلب إحاطة للاستشهاد بها ،باختصار أصبحت هذه الجملة ملكية فكرية خاصة بالدكتور زكريا عزمي ، ولكن بقدر ما ترتبط هذه الجملة بعزمي ويقدر ما لها من مدلولات سياسية تصب كلها لصالح الرجل إلا أن نفس الجملة قد تكون سببا في إضفاء نوع من الضبابية حول شخصية عزمي إذ تتوقف رؤية وقراءة السواد الأعظم للسياسيين والمثقفين لشخصية الدكتور زكريا عزمي عند هذه الجملة باعتباره محاربا للفساد .

فالصورة الذهنية لعزمي لا تتعدي كونه أحد كبار رجال الدولة بحكم منصبه وانه صاحب الجملة العبقرية التي لخصت حالة الفساد والرشوة بين صغار الموظفين وكبارهم في الأجهزة المحلية ، أو أنه عضو البرلمان البارز الذي ينجح دائما بالتزكية لأنه لم يجرؤ أحد علي أن يخوض الانتخابات أمامه في دائرته المفضلة«الزيتون» وقد يتفزلك البعض بمعرفته الخلفية العسكرية لعزمي وتاريخه في سلاح المدرعات ،إلا أن هناك صورة أخرى لعزمي لا يعرفها إلا الخواص وخواص الخواص فهو

بالإضافة إلى كل ما سبق يمتلك كاريزما خاصة جعلته الوحيد من بين رجال مبارك الذين لا يمكن تصنيفهم إلى أي تيار ينتمي ،فمنذ ٨ سنوات أو يزيد ظهر مصطلح الحرس القديم بين رجال الرئيس وقابله مصطلح آخر بالطبع هو «الحرس الجديد»وتم وضع رجال الرئيس القدامي في خانة الحرس القديم ولكن الجميع وقف عاجزا أمام زكريا عزمي فلا يستطيع احد أن ينكر أنه أحد أهم رجال الرئيس وبالتالي هو موجود بطبيعة الحال في جدول الحرس القديم ولكن لا يوجد دليل واحد علي أن عزمي بعيد أو علي علاقة متوترة مع الحرس الجديد،فهو يمتلك من الدهاء ما مكنه من اللعب علي كل الحبال ولم يفعل مثل آخرين لم يستطيعوا أن يستوعبوا طبيعة المرحلة فخفت صوتهم ونفوذهم شيئا فشيئا إلا أن تواروا عن الأنظار والأقدار نهائيا ، الوحيد الذي كان يصعب تصنيفه هو عزمي والوحيد الذي كان يصعب تهميشه هو عزمي فهو كارت رابح دائما لا يمكن حرقه أو إهماله في أي مرحلة من المراحل ،ويلقب عزمي بين خواص الخواص بكلمتين «عين الرئيس »وهناك من يضيف اليهما لقب آخر لا يبعد كثيرا عن اللقب الأول وهو «ترمومتر الرئيس » فهو عين الرئيس في البرلمان وعينه علي الصحافة وعينه في الحياة العامة.

وعينه في الحياة السياسية من أحزاب ومجتمع مدني ونقابات وجماعات وتيارات إسلامية أو غير ذلك ،صحيح أن الرئيس كانت لديه أجهزته السيادية التي تنقل إليه تقارير يومية اغلبها كاذب ومضلل ولكن عزمي هو عينه الداخلية هو عين الإحساس عند الرئيس وليست العين التي تكتفي بنقل وتقديم المعلومات ، ولذلك فإن عزمي يحتفظ بمكانه خاصة لدي نواب البرلمان ،فالجميع كان يحترمه ويعمل له ألف حساب بما فيهم الدكتور فتحي سرور رئيس المجلس الذي ما أن يري عزمي يرفع يده ولو رفعة صغيرة حتى يسارع بإعطاءه الكلمة ليدلي بدلوه في

المسألة التي يريد أن يتحدث فيها،وكثيرا ما ينقل عزمي للرئيس الأزمات التي تحدث تحت قبة البرلمان بين الوطني والمعارضة فيكلفه الرئيس بالتدخل باسمه لإيجاد حل لمثل هذه الأزمات ،وكثيرا ما توسط عزمي لحل أزمات بين المعارضة والحكومة ولذلك فان الجميع يهابه ليس فقط بسبب قربه الشديد من الرئاسة ، ولكن لأنه أوجد لنفسه مساحة قريبة من الجميع ،وهذا هو سر دهاء عزمي فكان دائم الاتصال برؤساء تحرير الصحف المستقلة والمعارضة وهو ما كان يرضيهم نفسيا ويحرجهم مهنيا فيضمن عزمي لنفسه أن يكون بعيدا عن مرمي النيران الصحفية وهو ما حدث بالفعل فعزمي كان يتصل دائما بإبراهيم عيسي ومجدي الجلاد ووائل الإبراشي و وغيرهم ليضمن لنفسه مكانة متميزة في قلوبهم باعتبار انه واجهة مشرفة لمؤسسة الرئاسة ،ولكن هناك صورة أخرى لعزمي لم يقترب منها احد وما كان احد ليجرؤ علي الاقتراب منها إلا بعد زوال نظام مبارك وهي الصورة الأخري لعزمي المتمثلة في ارتكاب أفعال وأقوال الفساد السياسي والمادي والجنسي ، فأي فساد سياسي ارتكبه الرئيس لابد أن ينسحب بالتبعية علي زكريا عزمي لأنه جزء من عقل الرئيس وتفكيره ولو كان عزمي قد أخلص النصيحة لمبارك لما انتهي الحال بمبارك علي هذا النحو المهين ،ولا يقتصر فساد عزمي علي الفساد السياسي باعتباره واحدا ممكن شاركوا ولو بالصمت علي افساد مصر لمدة ٣٠ سنة ولكن امتدت يده لترتكب الفساد بنفسها في الاستيلاء علي اراضي وممتلكات الدولة بالإضافة إلى البزنسة والسمسرة في المال العام ومشاركة كبار اللصوص ممن يطلق عليهم رجال أعمال في ثروات عقارية وحسابات بنكية.

وراهن عزمي في قرارة نفسه علي أنه لا يمكن لأحد أن يقترب منه فهو يرفع لافتة : «ممنوع الاقتراب والتصوير » ،لم يرد في ذهن عزمي ولو في الحلم أن يأتي يوم ويسقط فيه النظام الذي يحميه ويأويه ويعصمه من النقد أو الغمز أو اللمز في حقه

صحفيا أو إعلاميا ، ولم يكن يتخيل أنه من الممكن أن يأتي فيه ساعة يفتح فيها ملفاته الجنسية وعلاقاته الغرامية بفنانات ومطربات مصريات وعربيات إحداهن مطربة عراقية تدعي أنها حصلت على لقب ملكة جمال العرب وهو الوقور المهذب الذي يهابه الجميع وتحترمه المعارضة قبل الأغلبية.

فلماذا لم ينفضح أمر عزمي مع أن الشائعات والتسريبات الصحفية باقي رجال الرئيس؟ السبب أن عزمي لعب علي جميع الحبال ،وهذا هو مربط الفرس في شخصيته فمع أنه أحد أهم رموز النظام إلا أنه اختار لنفسه مساحة تسمح له بتوجيه انتقادات شديدة القسوة لوزراء في الحكومة أو للحكومة بالكامل علي عكس أي مسؤول حكومي وزير أم غفير لا يملك من أمره شيئا سوي أن يدافع عن الحكومة بالحق والباطل ،ولان عزمي ترمومتر الرئيس الحساس فإن الأنظار والأسماع كانت تتجه إليه بقوة حينما يدلي بدلوه في الأزمات الساخنة فالجميع يدرك أن أي كلمة سينطق بها عزمي موزونة بميزان من ذهب وأنها و أن لم تكن تعبر عن اتجاه الرئاسة بنسبة ١٠٠ في المائة في هذه الأزمة فإنها لن تقل عن ٩٠ في المائة من رؤية الرئيس للازمة ،وليس شرطا أن يكون عزمي قد اخذ تعليمات من الرئاسة بالتصرف علي نحو معين في أزمة ما ليعرف من كلماته ماذا ينوي أن يفعل مبارك،ولكن العشرة الطويلة بين الرجلين والعلاقة الحميمية التي تجمع بينهما تجعل عزمي يفهم الرئيس من تعبيرات وجهه وقبل أن ينطق بحرف واحد.

وفي الأزمة الأخيرة التي مرت بمحمد لطفي منصور وزير النقل السابق بعد حادث الجاموسة التي تسببت في إخراج منصور من الوزارة بعد أن تسببت هذه الجاموسة «المتآمرة» في وقوع حادث قطار العياط الأخير والذي راح ضحيته أكثر من ٢٠ قتيل وأثناء اجتماع لجنة النقل والمواصلات بمجلس الشعب وبينما كان نواب المعارضة يصبون الماء الساخن فوق رأس منصور ويجلدوا ظهره بأقسي

العبارات ويدافع عنه نواب الوطني إذا بالدكتور زكريا عزمي يتحدث في هذه الأزمة وحينما تحدث صمت الجميع وسادت همهمات داخل القاعة ومفاد هذه الهمهمات أن الكلمات التي ستأتي علي لسان عزمي مع قلتها هي التي سيعرف منها أبعاد مستقبل منصور السياسي ،وحينما هاجم عزمي سياسة منصور في وزارة النقل أدرك الجميع أن مؤسسة الرئاسة غاضبة من الحادث وان بقاء منصور في منصبه كوزيرا للنقل أصبح علي كف عفريت وحينما قال عزمي أن الرأي العام غاضب جدا من الحادث وانه لابد من تهدئته «قالها بلهجة حادة »أدرك الجميع أن هناك شيئا ما سيحدث إلا أن الجميع أيقن أن بقاء محمد منصور في منصبه الوزاري أصبح يعد بالساعات أن لم يكن بالدقائق بعد أن قال عزمي هذه الكلمات الساخرة لمنصور «هي فين نتيجة الملايين إللى صرفتوها علي الإعلانات في شهر رمضان وطلعتم فيها الشعب حرامية » ساعتها أدرك محمد منصور انه راحل لا محالة ،المرة الوحيدة التي طالت مدفعية الصحافة عزمي كانت بسبب علاقته بممدوح إسماعيل مالك العبارة السلام ٩٨ والهارب في لندن ،واستطاع عزمي بدهائه المعهود وعلاقاته بقيادات الصحف المستقلة والمعارضة وصداقاته الخفية ببعض رموز المعارضة أن يكفي علي الخبر ماجور وأن ينهي هذه الزوبعة بسرعة حتي يستمر عزمي في بطولة مسلسل المعارض من قلب النظام ،مع أن الثابت يقينا أن عزمي بطريقة أو بأخري كان له دور في تهريب ممدوح إسماعيل خارج مصر

ومع أن نواب المعارضة كانوا يحترمون عزمي ظاهرا وأحيانا باطنا لأنهم يلجؤون إليه في أوقات الكرب حينما يشتد الضغط عليهم أما لإيصال رأيهم وموقفهم للرئيس وأما للاستنجاد به من تغول سلطة الأغلبية أو بعض عناصر السلطة التنفيذية، إلا أنهم كانوا يدركون جيدا أنه جزء من تركيبة الفساد في النظام وانه ارتكب الفساد بجميع جوراحه القلب والعين واليد واللسان

ومن بين المواقف الطريفة التي تدخل فيها عزمي بلغة الإشارة حينما ذهب نائب الوطني الملقب بنائب سب الدين ونائب الرصاص « نشأت القصاص إلى مقاعد المعارضة للاشتباك بالأيدي مع احد نواب الإخوان وجلس مكان النائب المستقل الدكتور جمال زهران وطلب منه الأخيران يترك المقعد ورفض القصاص وقال لزهران «انا مش جايلك انت أنا جي أربي النائب ابن.....؟ قاصدا النائب الإخواني » ووقعت مشادة بين زهران والقصاص كادت أن تتحول إلى معركة بالأيدي ورأي زكريا عزمي هذا الموقف فأرسل بسرعة أحد نواب الوطني إلى القصاص وقال له زكريا بيه عايزك فترك القصاص المقعد وذهب إلى عزمي فوبخه.

فتحي سرور

أستاذ توازنات داس على القانون بحذائه ويتكهرب حينما تأتي سيرة الرئيس

كل الذين يشاهدون الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب والمولود عام ١٩٣٢ عبر شاشات التلفاز الذي يذيع لقطات مبتسرة لجلسات المجلس يعتقدون أن الرجل لا يفعل شيئا سوي أن يقول «الموافق علي القرار كذا عليه التفضل برفع يده »وقبل أن ينظر إلى من رفع يده ومن لم يرفعها ينطق كلمته الشهيرة: «موافقة ».

هذا الذي يعرفه العامة عن سرور ،أما النخبة المعارضة من خارج البرلمان فينظرون للدكتور فتحي سرور علي أنه أحد أعمدة النظام الحالي وأنه أحد أهم ترزية القوانين التي تخرج بليل لقتل الحريات ،فهو عندهم سنهوري النظام مع الاحتفاظ بالفارق بين الشخصيتين ،كما تنظر المعارضة الغير برلمانية لسرور علي انه واحدا من أهم ٥ شخصيات عند الرئيس وانه منذ أن ترك وزارة التربية والتعليم عام ١٩٩٠ بعد أن قضي بها أربع سنوات ليصبح رئيسا لمجلس الشعب بعد اغتيال رفعت المحجوب منذ ذلك التاريخ وحتى الآن وهو من أهم الشخصيات الفاعلة والنافذة والمقربة من عقل الرئيس فهو يخلص للنظام الذي أتي به إلى هذا المقعد إلى أقصي حد ويصفونه بأنه وهو في مقعد رئيس مجلس الشعب قد خالف ضمير رجل القانون الذي يعيش بداخله منذ أن درس الحقوق بجامعة القاهرة ثم وكيلا للنائب العام من عام ١٩٥٣الي عام ١٩٥٩ ثم حصوله علي الماجستير في القانون المقارن من جامعة ميتشجن بالولايات المتحدة وبعدها الدكتوراه في القانون الجنائي من جامعة القاهرة ثم رئاسته لقسم القانون الجنائي بالكلية من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٣ وبعدها توليه عمادة كلية الحقوق جامعة القاهرة من ١٩٨٣إلي ١٩٨٥ وأنه تحول

من قانون يمشي علي الأرض إلى قانوني يخالف ضميره ليل نهار من اجل إرضاء النظام هكذا تنظر المعارضة الغير برلمانية لسرور.

أما سرور لمن شاهده داخل البرلمان فله شخصيتان احداهما مطابقة تماما للصورة المحفورة في أذهان الجميع.

و الثانية : مختلفة تماما عن الصورة الذهنية المرسومة في عقل ووجدان الكثير من أقطاب المعارضة وكذلك العامة ،فالرجل حتى في نظر المعارضة البرلمانية من أقصي اليمين إلى اقصي اليسار كان أفضل من يدير جلسات مجلس الشعب وهو اقدر من أي شخصية في الحزب الوطني علي ضبط الإيقاع داخل الجلسة ،فقد تري سرور وهو يهدد بطرد نائب إخواني أو معارض من القاعة فيحتد صوته ويحمر وجهه وبعد دقائق أخرى تجده يعطي الكلمة لنواب الإخوان لينفثوا عما في صدورهم فيداعبهم سرور ويجبرهم بمداعبته علي الابتسام والضحك بعد أن أثار حنقهم وغضبهم قبل دقائق ،نفس الأمر يكرره سرور مع نواب الوطني فتراه مرة يفسح لهم المجال ليهاجموا الإخوان والمعارضة ويكيلوا المدح للنظام والحزب الوطني وفجأة تجده قد انقلب عليهم وقام بتوبيخ أحدهم .

حينما تشتعل المواجهة بين نواب الإخوان والمعارضة من ناحية وبين نواب الوطني من ناحية أخرى يردد سرور عبارته المشهورة «أنا هاشتغل رئيس مجلس ولا وابور مطافي »في إشارة إلى اشتعال الحرائق السياسية بين الأغلبية والمعارضة ، يجيد سرور ولعبة التوازنات تحت المجلس ويعامل النواب علي قدر حجمهم السياسي ،فتراه يتعامل مع زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية بالنظرة فعينه دائما عليه فان رفع يده أعطاه الكلمة فورا فهو يعرف قدر عزمي وحجمه وان صورته أمام الرئيس مرهونة برضاء عزمي عنه والأخير يبجل سرور ويعطيه حقه ولا يناديه إلا ب«يا ريس»،وتري سرور مع كمال الشاذلي بعد خروجه من السلطة

يتعامل معه بطريقة «ارحموا عزيز قوم ذل » فيعطيه الكلمة باحترام ولا يحتد عليه أن أطال في كلمته مثلما يفعل مع باقي النواب مع أنهما قبل أن يفقد الشاذلي بريقه.

وسلطانه وجبروته كانا علي طرفي نقيض دائما وكان كل واحدا منهما يكن للآخر قدرا من الكراهية ،أما سرور مع احمد عز ف الأمر كان أشبه بصراع مكتوم فالأول يعرف دور الثاني وتأثيره علي نواب الأغلبية بحكم أنه أمين التنظيم في الحزب الوطني ويعرف انه اللاعب الجديد علي المسرح بعد أن نزل اللاعبون القدامي واحدا تلو الآخر وعز يعرف قيمة سرور وانه لا يوجد من يستطيع أن يحل مكانه ، صحيح أن عز هو المايسترو الذي يحرك نواب الأغلبية لكنه لا ينسي أن سرور هو رئيس المجلس .

وفي ذات مرة احتد سرور علي عز وطلب منه أن يتوقف علي الكلام وان وجهة نظره التي أدلي بها غير قانونية وهو ما أثار شماتة نواب المعارضة إلا انه وبعد دقيقتين بالضبط أعطاه الكلمة مرة أخرى واثني عليه فصفق نواب الوطني .

ويتعامل سرور مع سعد الكتاتني رئيس الكتلة البرلمانية للإخوان باحترام وافر ولكنه قد يحتد علي باقي قيادات الكتلة ويتهمهم بالغوغائية ،تراه قد يحتد علي النائب علي لبن ويهدد بطرده من الجلسة ثم يصالحه بعد دقائق بقوله «أنا بحبك يا حاج علي وخايف علي صحتك »ويتعامل مع محمود أباظة بكثير من الاحترام والتقدير ولكنه يحتد دائما علي محمد عبد العليم داود الذي يجتاز الخطوط الحمراء بحديثه عن جمال مبارك تحت القبة وهو ما يؤدي إلى اصفرار لون وجه سرور فأكثر ما يخيف سرور ويرعبه أن تأتي سيرة الرئيس أو عائلته تحت القبة ،ويقول مازحا حينما يعطي الكلمة لداود«ربنا يستر أنا باحط أيدي علي قلبي لما تتكلم يا محمد عبد العليم داوود »

قد تجد سرور يفعل عشرات الأشياء في نفس الوقت فهو يرسل أوراقا صغيرة

مع عمال المجلس قد تكون موجهة لأحمد عز وقد تكون الورقة موجهة لقيادي في المعارضة أو لسامي مهران أمين عام المجلس وفي نفس الوقت تجده يتسلم أوراقا أخرى قد تكون من نواب من الوطني أو المعارضة ويراجع أوراقا أخرى أمامه ويبحث عن نصا دستوري ويتابع كلمات كل الأعضاء ويتدخل ورغم انشغاله بكل هذا تجده يتدخل في الوقت المناسب لفض الاشتباك بين الوطني والمعارضة ووسط كل هذا تجد ذهنا حاضرا قويا وذاكرة حادة وصوت جهوري وفصاحة بيان و له قفشات ضاحكة كثيرة لتلطيف الأجواء ،كل هذا يستمر لـ٦ ساعات يوميا دون كلل أو ملل.

أما الصورة الثانية لسرور فهو السياسي والفقيه القانوني الذي باع نفسه للسلطان من اجل البقاء في الحكم ،داس علي القانون بجزمته وداس علي الدستور بعنجهيته ،نسي سرور القانون والدستور وتعامل بعضلات النظام ، كانت الجهات السياسية والسيادية دائمة الاتصال بسرور لتملي عليه القرارات وكان الرئيس أو احد رجاله يتصلوا به في الجلسات الحرجة ومنها جلسة استجوابات العبارة وتصدير الغاز إلى إسرائيل ورفع الأسعار والجدار العازل وحرب غزة ويأمروه بالانتقال إلى جدول الأعمال فيأتمر بأمرهم وينتهي بنواهيهم وتجده قد زجر قائلا«« جاءني طلبا من ٢٠ عضوا بغلق باب المناقشة » فيغلق باب المناقشة ويتم دفن الموضوع بعد أن كفنه سرور وغسله بيديه، رأيت سرور وهو ينخلع قلبه رعبا حينما تأتي سيرة رجال ما بعد الخط الأحمر رأيته وهو يغضب لنصرة الباطل حينما يجهض أي مشروع قانون من شأنه أن يضع حدا للفساد أو أي طلب إحاطة ضد شخص وزير الداخلية ،وتتسارع ضربات قلبه وترتجف ركبتيه إذا تحدث نائب من النواب المحترمين عن مبارك أو أي فرد من أفراد الأسره الحاكمة،شارك سرور في اغتيال استجوابات وفي قتل طلبات إحاطة وبيانات عاجلة لأنها تكشف فساد يزكم

الأنوف لان الرئيس المخلوع والجهات السيادية التابعة له كانوا يرفضون كشف الفساد لأنهم جزء منه ،كنت اشعر بمدي الارتباك والحيرة والقلق النفسي الذي يعاني منه سرور ،فهو حائر ما بين ضميره باعتباره حارسا علي بوابة الشعب وبين مقعده ومكانته ونفوذه وهيبته وكلها أمور بيد الحاكم بأمره فاختار سرور أن يقتل ضميره بالرصاص وانحاز إلى الكرسي والجاه والنفوذ ولبئس الاختيار.

obeikan.com

أحمد عز

نفوذه وفلوسه وصراعاته وطموحاته

منذ أن تسلم أحمد عز بثروته الطائلة وحلله الأنيقة ورابطة عنقه المميزة ونظارته الشهيرة وقوامه القصير مفاتيح الحزب الوطني تسليم مفتاح من كمال الشاذلي ويوسف والي وورث نفوذهما في الحزب ومجلس الشعب وهو يبعث برسائل للجميع «إخوان ومعارضة ومستقلين وحكومة وأجهزة وشخصيات تتابعه وأخري تنافسه ولخصومه وأصدقاءه »، مفاد الرسالة التي أصر عز علي أن يرسلها للجميع أن زمن اللعب بالعضلات انتهي وأنه حان وقت اللعب بالعقل ،وان قواعد اللعبة تغيرت وأن الدنيا تطورت وما كان متاحا بالأمس أصبح ممنوعا اليوم والعكس صحيح ،وان الأجواء المفتوحة والفضائيات والصحف الخاصة ومواقع النت فرضت واقعا جديدا علي أمين التنظيم في الوطني والزعيم الحقيقي للأغلبية تحت قبة مجلس الشعب في فن اللعب مع الجميع ،أراد عز أن يثبت لكل من سبق ذكرهم أن الحرس الجديد له أسلوب جديد وقواعد جديدة في إدارة المنظومة . وأن هذا الأسلوب أكثر خسة من الأساليب السابقة .

دخل احمد عز ملعب السياسة من بوابة البيزنس« ودخل بوابة البيزنس من خلال جلباب أبيه تاجر الحديد وغير عز مساره من عازف درامز هاوي إلى رجل أعمال ناجح وفاسد ومثير للجدل وعلامات الاستفهام ، ودخل البرلمان لأول مرة عام ٢٠٠٠ وكان في منتصف الثلاثينات من عمره وكان من أصغر النواب سنا إن لم يكن أصغرهم ،واستفاد من تجربته الأولي في البرلمان بشكل جيد فعرف من أين تؤكل الكتف وعرف مواطن القوة والضعف لخصومه وأصدقاؤه معا ،دخل عز

برلمان ٢٠٠٠ مراقبا ومتابعا ومدققا ومحققا لما يجري ويحدث وخرج متفوقا علي نفسه ومتمكنا و متشوقا ومتحفزا ومستعدا وجاهزا لعملية تبديل الكراسي وتغيير الأدوار ، اكتسب عز من برلمان ٢٠٠٠ خبرات ومهارات مكنته من أن يصل إلى موقعه السياسي والتنظيمي الخطير في الحزب الوطني وفي مجلس الشعب ، ومع أن الشائعات تعيد الفضل لما وصل إليه عز سياسيا واقتصاديا إلى سبب واحد فقط وهو صداقته لجمال مبارك إلا أن المتابعة الجيدة والمنصفة لأداء عز تؤكد أن ما وصل إليه من نفوذ وفلوس لم يكن بسبب قربه من جمال مبارك فقط «وان كان لهذه العلاقة سحرها الخاص في منظومة نفوذه » فالصورة الذهنية لعز عند العوام وحتى عند الساسة الذين لم يحتكوا به احتكاكا مباشرا تختلف تماما عن الصورة الفعلية التي يعرفها من شاهد أو تابع عز عن قرب حتى وإن كانت هذه المتابعة من موقع الخصم ،وهذا لايعني أن اتهامات المعارضة لعز غير صحيحة كما انه لا يعني أنها صحيحة علي إطلاقها.

فبعد أن انتهي برلمان ٢٠٠٠ مكملا دوراته البرلمانية الخمس كان النظام قد دخل في مرحلة مخاض جديدة فرضتها عليه عوامل الدهر والظروف الدولية ،وتم الدفع بوجوه جديدة تتناسب مع هذه المرحلة ووقع الاختيار علي عز الذي كان قد أثار جدلا واسعا في الشارع المصري بسبب ما أثير حول الاندماج القهري لشركة الحديد التي يمتلكها «حديد عز» مع حديد الدخيلة لتصبح المجموعة بالكامل تحت مسمي مجموعة «حديد عز» وما تناقلته الألسنة حول هذه الصفقة من أنها كانت صفقة مشبوهة وأنها كانت أكبر دليل علي حالة الزواج الكاثوليكي بين رأس المال والسلطة .

وحل عز محل واحد من الأوزان الثقيلة داخل النظام وهو كمال الشاذلي الذي كانت له هيبة وسطوة وسلطة غير عادية داخل النظام وخارجه فسلطة الشاذلي

داخل مجلس الشعب كانت علي الأغلبية والمعارضة وكان الرجل بمثابة الفزاعة التي يستخدمها النظام لتخويف خصومه وإرهابهم بما كان للشاذلي من «صلاحيات تاريخية ،وفجأة وبعد كل هذا العمر جاء عز وهو في بداية الأربعينيات من عمره ليرث سلطة ونفوذ ومكان ومكانة كمال الشاذلي ،أي أن عز ورث الشاذلي وهو علي قيد الحياة ،دخل عز برلمان ٢٠٠٥ يتحسس خطاه ،ينظر علي يمينه فيري كمال الشاذلي شبه منكسر وينظر أمامه فيجد معارضة متحفزة وإخوان متشوقين للاشتباك ،ومستقلين اختلفوا في كل شيء واتفقوا علي شيء واحد وهو كراهية عز ومناكفته وإزعاجه سواء من عند أنفسهم أو بإيعاز من خصوم عز الكبار ، وعلي المنصة يجلس سرور الذي ينتمي جيليا إلى الحرس القديم ويعرف عز جيدا أن رجل بوزن سرور وقيمته في النظام لن يترك الكعكة له سائغة وأنه سيتعرض منه لأكتاف قانونية بالجملة ولسان حال عز كان يقول المهم إلا يحصل سرور علي تثبيت الأكتاف والمهم مين اللي هيكسب في نهاية الجولات .

وفي الخلف يجلس «زكريا عزمي الذي يقف علي مسافة واحدة من كل الأطراف ويجمع كل الخيوط في يده ويمتلك من النفوذ والسلطة والدهاء والخبث مالا يمتلكه احد سواء كان حرسا قديما أو حديثا ، الجميع كان ينظر لعز و كان هو ينظر للجميع والكل في حالة ترقب ، العتاقي في الوطني كانوا ينتظرون ماذا سيفعل هذا الشاب بعد أن ورث كل هذا النفوذ ومنهم من ظل علي ولائه للشاذلي ومنهم من انتظر ، أما الوجوه الجديدة وبعض الوجه القديمة فقد راجوا مع الرائجة رافعين شعار: «إذا جالك الطوفان حط ابنك تحت رجليك » وبما أن طوفان التغيير في النظام قد جرف وجوها وأتي بوجوها أخرى فعلينا أن نقدم الولاء والطاعة للجدد ،قرأ عز الخريطة جيدا مستفيدا من الخبرات التي اكتسبها من برلمان ٢٠٠٠،واستعمل ذكاؤه في تقييم الموقف ،فتعامل مع الجميع كلا علي قدر حجمه

ومكانته ،وتعامل مع المعارضة والإخوان بطريقة ذبح القطة ،وشيئا فشيئا اكتملت الصورة ،وكان عز مع كل معركة سياسية أو مبارزة قانونية أو جولة لاستعراض النفوذ يكسب أنصارا جدد من نواب الوطني إلى أن اثبت جدارته في السيطرة ، فدخل نواب الوطني تحت سيطرته أفواجا وجماعات ،وحينما ضمن عز سيطرته علي نواب الأغلبية بدا يخوض معاركه السياسية مع المعارضة والإخوان والمستقلين وبعض نواب المعارضة الذين لا يدينون له بالولاء ،واستطاع عز في فترة وجيزة أن يبرمج نواب الوطني علي هواه وان يحركهم داخل المجلس في القضايا الساخنة مستبدلا حواجب الشاذلي التي كانت تحرك نائب وتجلس آخر برسائل الـ sms وبالحوار المباشر مع نواب الوطني والذهاب إليهم مباشرة خلال الجلسات ليطلب من هذا النائب أن يفعل أمرا ما ويطلب من آخر القيام بمهمة أخرى أو «يدفع بنائب وطني ممن يمسحون له جوخه وحذائه السياسي ليل نهار من عينة نشأت القصاص والحسيني أبو قمر وعمر هريدي ليشتموا في المعارضة والإخوان ،أو أنه يطلب من مجموعة من النواب أن يتحركوا بسرعة ويتقدموا بطلب لإغلاق باب المناقشة ، أو يطلب من مجموعة أخرى من عينة ميمي العمدة أو بدر القاضي أن تشتبك بالأيدي مع نائب إخواني أو مستقل ،وشيئا فشيئا بدأت الصورة تتضح وبدا أن عز في طريقه لان يصبح أقوي شخصية داخل المجلس وداخل الحزب الحاكم بسيطرته علي نواب الأغلبية ،وتحول عددا من المشتاقين من الولاء للشاذلي إلى الولاء لعز فأصبح المولد منفضا من حول الشاذلي وممتلئا حول عز ،وفي كل يوم كانت تزداد ثقة عز بنفسه ويزداد الشاذلي إحباطا ،ولم تكد تنتهي الدورة البرلمانية الأولي من عمر برلمان ٢٠٠٥ حتى اتضحت الصورة بأكملها وأصبح عز قبلة غالبية نواب الوطني ،وبعض نواب المعارضة من الذين كانوا يمدون جسور اتصالات سرية بعز لتحقيق أهداف معينة تحت القبة ومنهم من كان يلتقي بعز سرا كل شهر

للاتفاق علي أجندة الشهر المقبل » مقابل الحصول علي مبالغ مالية كبيرة وكان عز يستخدمهم في لحظات معينة تحت القبة لشق صفوف المعارضة ،وفي الدورة الأولي تكشفت خريطة ادوار النواب وعرف من المشاغب ومن المداهن ومن المعارض ومن شبه المعارض وعلي هذا الأساس تعامل عز مع المعارضة في الدورات التالية ، ومن الأسرار التي لا يعرفها الكثيرين أن عز طلب من عددا قليلا من النواب المستقلين النشيطين تحت القبة الانضمام للحزب الوطني مقدما لهم إغراءات كبيرة إلا أنهم رفضوا ،ورأي عز كيف يجتمع نواب الإخوان علي موقف واحد في كل القضايا التي تثار تحت القبة فأرغم نواب الوطني علي الانصياع للالتزام الحزبي وأن يكون الالتزام الحزبي مقدما علي كل شيء لكي يستطيعوا أن يواجهوا نواب الإخوان والمعارضة ،ودخل عز وخلفه نواب الوطني معارك طاحنة مع الإخوان والمستقلين تحت القبة ،ومن أشهر تلك المعارك استجوابات عبارة ممدوح إسماعيل والتعديلات الدستورية التي تمت في ٢٠٠٧ وألغت الأشراف القضائي علي الانتخابات ومعارك تمديد الطوارئ ومعركة تقرير لجنة الخطة الموازنة الذي تم بمقتضاه رفع أسعار البنزين والغاز في ٢٠٠٨ ومعركة الجدار العازل التي سب فيها بعض نواب الوطني الدين عشرات المرات لنواب الإخوان ومعركة الموقف المصري من الحرب علي غزة بالإضافة إلى المعارك حول عددا من مشاريع القوانين ومنها قانون الضريبة العقارية وقانون مشاركة القطاع الخاص في مشروعات البنية الأساسية ،وفي كل معركة من هذه المعارك كانت الدنيا تقوم ولا تقعد وتتكهرب الجلسات وتكون قاعة المجلس علي وشك الانفجار من كمية الصياح والغضب والشحن الموجودة بداخلها وعز في كل هذه الأزمات يكون بمثابة مخرج في مسرح العرائس يحرك نواب الوطني بالإشارة وبالرسائل ،وفي كل معركة مهما كانت سخونتها يخرج عز أكثر قوة وأكثر إصرارا علي فرض نفوذه وسلطته علي الجميع ،

وكان يدير كل معاركه بهدوء وذكاء ولم يكن ينفعل ويترك الآخرين من نواب الوطني ينفعلوا وينفلتوا نيابة عنه ،ومع زيادة النفوذ قرر عز أن يدخل في معارك مع الكبار فدخل أكثر من مرة في صراع مكتوم مع سرور ومع عزمي ومع الشريف ، وفي الدورة البرلمانية الأخيرة من برلمان ٢٠٠٥ طرأ طاريء علي شخصية أحمد عز وهو انه قرر أن ينزل ملعب الصياح والغضب تحت القبة بنفسه وألا يكتفي بدور مخرج العرائس ، ودخل في اشتباكات لفظية مع عددا من نواب المعارضة من بينهم النائب الإخواني« اشرف بدر الدين الذي كثيرا ما أزعج عز ونغص عليه عيشته في اجتماعات لجنة الخطة والموازنة إذا صرخ فيه عز في احدي الجلسات قائلا بأعلي صوته «أنت يا نائب الحذاء تتحدث عن الشفافية والديموقراطية » وانفرد عز بالنائب المستقل سعد عبود في احدي الجلسات ليصفي معه عدة حسابات قديمة وجديدة وسجل في مرماه عدة أهداف غاضبة دون أن يتمكن عبود من الرد عليه ، كان واضحا في الدورة الأخيرة أن عز قرر أن يشتبك بنفسه وبصوته مع المعارضة ، وانتهت الدورة البرلمانية وانتهي برلمان ٢٠٠٥ دون أن يعرف أحد أيهما أسبق عند أحمد عز النفوذ أم الفلوس وبمعني آخر أيهما أتي بالآخر النفوذ هو الذي أتي بالفلوس أم الفلوس هي التي أتت بالنفوذ.

أم أن الذي أتى بالاثنين معًا هو الفساد؟